اوروبا... والشرق الأوسط
سياسة انتظار الانتظار!

تنبهت صحيفة «لوموند» الفرنسية (١٩٨١/٢/١٠) الى حقيقة بسيطة لم تتصل بوضوح الى ادراك الكثيرين في الشرق الأوسط والعالم؛ وذلك حين قالت: «كانت شعبية الرئيس المصري أنور السادات تتأرجح ما بين الصعود والهبوط في بلده. ولكنها في المقابل وصلت الى أوجها في العالم الغربي بعد زيارته الى القدس عام ١٩٧٧».

ونحن بدورنا، ننتهز فرصة هذه الاشارة البسيطة لنطورها الى حقيقتها الكاملة... وهي أنه كلما هبطت شعبية سياسة السادات في مصر، وفي الوطن العربي بشكل عام، وكلما اتجهت سياسته في الاتجاه المعاكس للقضايا العربية، وعلى رأسها قضية فلسطين، ارتفعت أسهمه في الغرب، وزاد رصيد شعبيته لدى حكومات العالم الغربي. وهذا أمر طبيعي... فالغرب يجد مصالحه مع سياسة الرئيس السادات بوضوح وبلا مواربة. ومن ناحية أخرى، فإن صعود الشعبية هذا، بالنسبة لحاكم عربي كالسادات، هو من قبيل إحباط المعارضات الوطنية ضده؛ وهو في الوقت ذاته، من قبيل تشجيعه على الاستمرار في هذه السياسة. وهو أيضاً بمثابة التعويض «النفسي» له عن انعدام المكاسب الناتجة عن هذه السياسة.

... في ضوء هذه الحقيقة فقط، يمكن تفسير ذلك الاهتمام الكبير الذي لقيه الرئيس المصري في رحلته الأوروبية بشقيها في لوكسمبورغ، حيث خاطب البرلمان الاوروبي (١٩٨١/٢/١٠)؛ وفي باريس، حيث أجرى محادثات «معمقة جداً» مع الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان. فهو في لوكسمبورغ (مقر البرلمان الاوروبي)، حظي باستقبال برلماني متميز؛ حيث كان مجرد عقد جلسة للاستماع اليه شيئاً خُصَّ السادات به قبل ان يتبع مع أي رئيس دولة آخر. وحيث لوحظ أن هذا البرلمان الذي اشتهر بأنه يعقد جلساته وأكثر من نصف مقاعده خال، التقى بأغلبية اعضائه الترحيب بالسادات. وحتى قبل انعقاد هذه الجلسة الخاصة، كان باستطاعة صحيفة «لوموند» أن تقول، في العدد الذي صدر في اليوم نفسه الذي ألقى فيه السادات خطابه «مهما كان مضمون الخطاب الذي سيلقيه السادات أمام البرلمان الاوروبي في لوكسمبورغ، أو مهما كانت التصريحات التي سيدلي بها في باريس، فإن كلامه سيكون ذا أثر جيد في أوروبا الغربية». هذا، على الرغم من اعتقاد الصحيفة نفسها أن «الرئيس المصري لا يزال يعتقد أن أوراق اللعبة في الشرق الاوسط لا تزال في يد الاميركيين. وهو لا يملك ما يقدمه للاوروبيين وخاصة فرنسا كي تقوم بدور فعال في تسوية النزاع العربي – الاسرائيلي».

وفي باريس، كان استقبال الرئيس الفرنسي للسادات واتفاقاته معه، من قبيل ما وصفته صحيفة «نيويورك تايمز» الاميركية (١٩٨١/٢/١٢) بأنه كرم استثنائي، خاصة وأن